إهداء

إلى والديَّ الكريمين . . . رحمة الله عليهما،

أهدي هذا البحث، تقديرًا لكفاحهما الطويل من أجلي،

فما أن إلا ثمرة غرسهما، وما وصلت إليه ليس إلا حصاد كدِّهما،

. . . . . فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأسكنهما فسيح الجنات.

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وباعث روح العلم في أمته إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد عرف العلماء والدارسون أبا الفتح عثمان بن جنِّي لغويًّا واشتهرت إضافاته في هذا العلم كالاشتقاق الأكبر وتركب اللغات وغير ذلك، وخرجت دراسة (ابن جنِّي اللغوي) للدكتور محمد القصاص لتعالج هذا الجانب.

وعُرف أبو الفتح نحويًّا، وله فيه آراء مشهورة في كتب النحو، وخرج في هذا المضمار كتاب (ابن جنِّي النحوي) للدكتور فاضل السامرائي، وهو وإن كان دراسة عامة النحو -متضمنًا التصريف عند ابن جني- فإن التصريف فيه لم يحظ بقدر يعادل قدر النحو، وعرف أبو الفتح كذلك بكثير من علوم العربية كالأصوات، والقراءات، والعروض، والخط.

أما علم التصريف عند ابن جني فقد ظل مجالًا يحتاج إلى دراسة منفردة دراسة تجيب على أسئلة ملحة لعلها وردت في أذهان الدارسين وهي: ماذا كتب ابن جني في علم التصريف؟ وكيف كان منهج بحثه وتأليفه فيه؟ وماذا أضاف في هذا العلم؟ وما قيمة هذه الإضافات؟ وإلى أي مدى كان تأثره بسابقيه وتأثيره في لاحقيه؟ وما مكانته في علم التصريف وموقعه بين علمائه؟

لقد ألحت هذه الأسئلة على ذهني، وكانت الدافع الأول إلى هذا البحث ليكون محاولة للإجابة عنها، إلى جانب دافع آخر كان له في نفس من القوة ما يقارب الدافع الأول، وهو محاولة تبين وجه الحقيقة في علاقة ابن جني بأستاذه أبي علي الفارسي، وهل هي تبعية مفرطة تلغي ذاتية ابن جني حتى تصل إلى حد وصفه بأنه لم يكن إلا قلمًا في يد أبي علي، وليس إلا مخبارًا يمتحن به تجاربه، وأنه كان خادمًا عند أبي علي ليوفر وقته

الثمين في الدرس والاطلاع كما ذكر بعض المحدثين[1]؟

ولقد قسمت بحثي إلى أربعة فصول، جعلت الفصل الأول بعنوان (عصره وحياته وآثاره) قاصدًا أن يدور حول النقاط الثلاث التي تضمنها عنوانه، فقد وجدت أن دراسة علم التصريف عند ابن جني تقتضي أن أتعرض لشخصيته فأدرس العصر الذي عاش في ظله، وظروف حياته، إيمانًا بأن العلم من نتائج عقل العالم ونفسه وهما يتأثران بالقطع بظروف البيئة و العصر وعوامل الوراثة وظروف النشأة والأحداث العامة و الخاصة، مما يكون له أكبر الأثر في الاتجاهات العلمية ومنهج التفكير وأسلوب التأليف وغير ذلك، وقد كنت حريصًا في هذا علي الإيجاز ما استطعت، فلم أتعرض بالبسط إلا لما كان موضع خلاف أو ما تبين لي فيه جديد يلزمني الضمير العلمي بذكره، كما صنعت في (مولده) و(مذهبه الفقهي والكلامي) و(شعره) و(علاقته بأبي علي الفارسي).

ولما كانت طبيعة البحث تستوجب دراسة مؤلفات ابن جني لاستخرج ما بها من تصريف فقد وجدت لزامًا على أن أبحث عن كل ما كتب لأعرف ما هو موجود من مؤلفاته وأحدد ما هو مفقود، ولاسيما أني وجدت في هذا الموضع جديدًا يضاف إلى ما ذكرته المراجع التي اطلعت عليها، مع حرص على توثيق مؤلفاته كلها بأقصى ما استطعت من السبل من كتب ابن جني نفسه ومن كتب من أرخوا له، وللحركة العلمية في عصره.

أما الفصل الثاني -الذي أعده صلب الكتاب- الذي جعلت عنوانه (التصريف في مؤلفات ابن جني) فقد عمدت فيه إلى مؤلفات ابن جني الصرفية منها وغير الصرفية، أدرسها وأعرض الأبواب الصرفية التي ذكرها ابن جني مضيفا إليها ما ذكره منها في كتبه الأخرى، أما ما لم يحدد له أبوابًا -فيما بين أيدينا من كتب-قد جمعت مسائله من مختلف كتبه، ووضعت في أبوابه على غرار ما فعل ابن جني فيما حدد من أبواب، ثم عرضت ذلك كله عرضًا يجمع بين الإيجاز فيما وافق فيه ابن جني غيره وما لم يضف فيه

(1) انظر مقدمة سر الصناعة (الجزء المطبوع) ص33. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين – دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى- 1954م.

جديدًا يستلزم التوقف عنده، وبين البسط فيما خالف فيه غيره، أو انفرد فيه برأي أو تحليل أو تعليل أو حسن عرض أو نحو ذلك، مشيرًا إلى مدى إيفائه أو إخلاله ببعض الأبواب أو المسائل متعرضًا له بالمناقشة والمراجعة فيما وجدته مستحقًا لذلك، مراعيًا في ذلك وجه الحقيقة ولا شيء سواها.

وفي الفصل الثالث الذي جعلت عنوانه (منهج ابن جني في البحث والتأليف الصرفي) عملت على إيضاح السمات البارزة التي اتسم بها ابن جني في طريقة بحثه ونهج تأليفه، مؤكدًا كل سمة منها بالأدلة التي تثبتها، وبالنماذج التي يتضح فيها ذلك.

وفي الفصل الأخير الذي جعلت عنوانه (ابن جني بين السابقين واللاحقين ومكانته الصرفية) حاولت أن أحدد مدى إفادته ابن جني من سابقيه في مضمار التصريف موضحًا نقاط هذا التأثر، ومؤكدًا له بالنماذج والأمثلة، ثم رحت أتتبع تأثير ابن جني في لاحقيه، ذاكرًا مواضع ذلك التأثير مشفوعًا بالأمثلة الشاهدة به، وعلى هدى من كل ما سبق حاولت أن أحدد مكانة ابن جني من علم التصريف، وموقعه بين علمائه السابقين واللاحقين، ثم أوردت عددًا من أقوال العلماء والمؤرخين مما يوضح نظرتهم إلى أبي الفتح ومكانته في علم الصرف.

ويحتم عليَّ واجب الوفاء والعرفان أن أدعو الله صادقًا أن يتغمَّد روح أستاذي الجليل الراحل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرزاق البسيوني – بالرحمة والمغفرة وأن يجزيه عنِّي وعن كل تلاميذه خير الجزاء ولا أنسى بالشكر والتقدير كل مَن أسهم في إخراج هذا الكتاب داعيًا الله أن يجعله خالصًا لوجهه وأن ينفع به العلم وأهله.

شبرا: في فبراير1982م

* * * *